Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (4), Issue (11): 30 Nov 2020
P: 40 - 54
ISSN: 2522-3380
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (4)، العدد (11): 30 نوفمبر 2020 م
ص: 40 - 54

Advocacy discourse in Surat An-Naml: A literary study

Noora Obaid Abbas
College of Sciences and Arts in Baljurashi || Al-Baha University || KSA

Abstract: The research aims to identify the artistic representation in the advocacy discourse, especially the one that came from the Prophet's guidance in Surat An-Naml, as it carries the sensory significance represented by the spiritual education of fidelity and the kinship. And the moral significance is in finding the right path to the righteous truth to the moral depiction of human values of praise and thanksgiving to God, Lord of the Worlds.

The study followed the analytical descriptive method which is based on mentioning the Qur'anic verse and showing its artistic pictorial features. The results revealed that imagining is the preferred tool to express the standard of moral criticism to highlight the realism of the spiritual and human values of the Qur'anic stories in the light of Surat An-Naml.

The study recommends the establishment of comprehensive research in the field of the propagandistic rhetorical miracles of the Holy Qur'an that deals with the verses from a rhetorical perspective of the miraculous claim and directing scholars to study its structures and clarify its secrets.

Keywords: The Quran, Universe, Artistic Representation, Stories, Advocacy Discourse.

الخطاب الدعوي في سورة النمل: دراسة أدبية

نوره عبيد عباس
كلية العلوم والآداب ببلجرشي || جامعة الباحة || المملكة العربية السعودية

الملخص: هدف البحث إلى التعرّف على التصوير الفني في الخطاب الدعوي، لاسيما الذي ورد من الهدي النبوي في سورة النمل بما تحمله الدلالة الحسية المتمثلة التربية الروحية للأمانة، وصلة الرحم. والدلالة المعنوية في الاهتداء إلى سبيل الحق المستقيم للتصوير المعنوي للقيم الإنسانية للحمد والشكر لله رب العالمين، واتبعت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي الذي يقوم على ذكر الآية القرآنية وبيان ما فيها من ملامح تصويرية فنية. وقد كشفت النتائج أن التصوير هو الأداة المفضلة للتعبير عن معيار النقد الأخلاقي لإبراز واقعية القيم الروحية والإنسانية للقصص القرآني على ضوء سورة النمل، وتوصي الباحثة بإقامة بحث شامل في مجال الإعجاز الخطابي الدعوي للقرآن الكريم يتناول الآيات من منظور خطابي دعوي إعجازي، وتوجيه الدارسين إلى دراسة تراكيبه وبيان أسراره.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الكون، التصوير الفني، القصص، الخطاب الدعوي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد - صل الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

التصوير القرآني هو الذي يعبر عن المعنى الذهني بالصورة المحسوسة المتخيلة، فيكون الخطاب أوقع في النفس وأقوى في التأثير وأدعى إلى القبول. ودراسة التصوير الفني في القرآن الكريم تقوم على إدراك التصوير والتمثيل والتشبيه في الآيات القرآنية وكيفية رسم الآيات لمشاهد ما سواء كان نفسياً، أم طبيعياً أم سردياً. حيث

يجد القارئ إقناع العقل، وإمتاع العاطفة بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيراً ووجداناً، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان ولا قوة الوجدان على قوة التفكير. وتجد وأنت تقرأ القرآن أن العقل يفهم والخيال يصور وذلك خلاف المألوف والمعروف لدى قراءة أي كتاب آخر. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة يمكن أن يتأملها القارئ من باب التصوير الفني. منها الآيات السردية في القصص القرآني، وتعد القصة القرآنية من أهم أسباب الدعوة؛ لأنها تحيل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية وتجسيدها في الخطاب الدعوي ووصف مشاهد يوم القيامة والجنة والنار، وتصوير الحوار الداخلي المتبادل بين المشركين والمؤمنين وغيرهم.

مشكلة البحث

تتحدد إشكالية البحث في الأسئلة التالية:

1. هل واقعية التصوير الفني للقصص القرآني في سورة النمل تحقق الإعجاز البلاغي للقرآن.؟
2. ما أهمّ القيم التربوية التي يمكن استنباطها من سورة النمل.؟
3. ما العلاقة التي تربط بين التصوير الفني، والخطاب الدعوي في سورة النمل.؟

أهداف البحث

- الهدف الذي ترمي إليه هذه الدراسة هو الكشف عن التصوير الفني في سورة النمل. ودراسة أبرز أساليب التصوير الفني في الخطاب الدعوي في هذه السورة.

أهمية البحث

تأتي أهمية التصوير الفني في الخطاب الدعوي متمثلة في سورة النمل لما وجد فيه من تعبير صادق عن عظمة الله تعالى. ووسيلة من وسائل التواصل مع أفراد المجتمع ولمختلف الأغراض. كما يعدّ مصدراً عظيماً للعبر. وللآيات الحية للناس جميعاً.

2- الدراسات السابقة

هنالك دراسات سبقت هذه الدراسة واستفادت الدراسة منها في بعض الجوانب ومنها على سبيل المثال:

- **الدراسات التطبيقية لنظرية التصوير الفني في القرآن الكريم**، وهي كتب سيد قطب وعلى رأسها:" في ظلال القرآن و"مشاهد القيامة في القرآن" وكان سيد قطب وعد قراءه بمجموعة من الدراسات في شكل سلسلة سماها: "مكتبة القرآن الجديدة" من أبرز عناوينها: القصة بين التوراة والقرآن، المنطق الوجداني في القرآن، أساليب العرض الفني في القرآن.
- **ودراسة بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القَصَصي القرآني، مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء.** (دحماني، 2011، 2012) وجاءت الدِّراسة في بابين الأول (نظري)، اشتمل على فصلين، عقد الأول منهما لتأصيل مفهوم الصورة الفنية في الأدب واستنطاق مذاهب الدارسين العرب القدماء والمحدثين، فضلاً عن تنظير الغربيين بشأنها، وعاج إثر ذلك برحاب الاشتغال القرآني مستقصياً مفهوم التصوير الفني فيه، ومعالمه في التراث، وطبيعته التي ارتقى البحث فيها، وغدا مع جهود المعاصرين نظرية متكاملة قائمة بذاتها، أما الفصل الثاني فعقده لتحسّس مقومات الصورة الفنّية في الأدب، في ضوء فهم العرب والغربيين على السواء، فتوقف عند فاعلية الخيال وألمَّ بمفهومه، ثم استقصى الموضوع في مختبر الدارسين ابتداء من الإغريق، ومروراً بالعرب القدماء، وانتهاء إلى تنظير الغربيين، فموقف العرب المحدثين. وجاء الباب الثاني من الدِّراسة تطبيقياً صرفاً.

وقصرت مباحثه على استكشاف نظام الصورة الفنية في الخطاب القَصَصي القرآني، من حيث بلاغة الأداء التصويري من جهة، ومستويات إيحاء الصورة الفنية في هذا الخطاب من جهة ثانية. وقد ضم هذا الباب هو الآخر فصلين: تطرق في الأول منهما إلى مصادر الصورة وأنماطها الشكلية في الخطاب القَصَصي القرآني. وفي الفصل الثاني إلى بؤر الإدراك الحسي للصورة وسماتها الفنية في هذا الخطاب. وذيل البحث بخاتمة تضمنت بعض النتائج التي خلص إليها نظرياً وتطبيقياً. . ومنها: قابلية الخطاب القصصي القرآني –نظراً لخصوصيته الأدبية الإعجازية- للمقاربة التحليلية وفق عدّة إجرائية يتعيّن استمدادها من طبيعة هذا الخطاب نفسه، وذلك باستثارة مظاهر الأداء الفني فيه لفاعلية التذوق الجمالي لدي الباحث، وذلك أمر تسنّى لنا ملاحظته في جهود كثير من المفسّرين ودارسي القرآن الكريم.

- **الحدث في القِصَّة القرآنيَّة قِصَّة موسى (عليه السلام) أنموذجاً (السعدون، 2013).** قام البحث على مدخل وأربعة مباحث: يتضمن المدخل تحديد مفاهيم البحث وهما الحدث والقِصَّة القرآنيَّة. وتولى كل مبحث تحليل حدث بارز من أحداث القِصَّة فجاء المبحث الأول عن حدث خروج موسى (عليه السلام) من مصر إلى مدين وزواجه وعمله. أما المبحث الثاني فتضمن حدث طلب موسى العلم من العبد الصالح. وكان المبحث الثالث عن حدث دعوة موسى (عليه السلام) فرعون وآله إلى عبادة الله تعالى. والمبحث الرابع عن حدث دعوة موسى (عليه السلام) بني إسرائيل إلى دخول الأرض المقدسة، ومن ثم دخولهم التيه في صحراء سيناء. واعتمد الباحث دراسة تحليلية موضوعية لنصوص القِصَّة القرآنيَّة للكشف عن أبعادها وبيان الدلالات التي تمخضت عنها. وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها: حدث دعوة موسى (عليه السلام) فرعون إلى عبادة الله تعالى النصائح والعظات إذ يتحول الحديث بين موسى (عليه السلام) وفرعون إلى ما بين الله تعالى وعباده فيتضمن الامتنان بالنعم والتحذير والتنبيه على سطوة الله تعالى وعظيم جبروته. أما حوار موسى (عليه السلام) وفرعون فينصب على عدة مسائل منها وجوب الإيمان بالله تعالى رباً لفرعون وللعالمين، والإيمان برسالة موسى وإنها من عند الله، وكف الأذى عن بني إسرائيل وإعطائهم الحرية والبعد عن استبعادهم.

منهجية البحث

اتبعت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي الذي يقوم على ذكر الآية القرآنية وبيان ما فيها من ملامح فنية

خطة تقسيم الدراسة:

واقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تتكون من مقدمة، وتمهيد وفصلين، وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

- **المقدمة: مشكلة البحث، أهداف البحث، أهمية البحث، الدراسات السابقة، منهجية البحث.**
- **التمهيد: مفهوم الصورة، ومفهوم التصوير، ومفهوم الخطاب.**
- **الفصل الأول: الخصائص التصويرية للعالم الحسي على ضوء العقيدة.**
  - المبحث الأول: تصوير آيات الكون والطبيعة.
  - المبحث الثاني: تصوير حال المؤمنين، وتصوير حال الكفار.
- **الفصل الثاني: معيار القيم في إبراز العواطف والانفعالات في القصص.**
  - المبحث الأول: تصوير العالم الحسي.
  - المبحث الثاني: تصوير الخصائص المعنوية لدلائل النبوة في المعجزات.
- **الخاتمة: أهم الاستنتاجات، قائمة المصادر والمراجع.**

تمهيد

مفهوم الصورة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور، مادة (ص. و. ر): الصورة في الشكل، والجمع صور، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير: التماثيل، وقال ابن الأثير: الصورة ترد في لسان العرب – يقصد السنتهم – على ظاهرها وعلى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صور الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة كذا وكذا أي صفته. (ابن منظور: 492)

ومن الناحية اللغوية أيضاً نجد أن مدلول كلمة "الصورة " يدور حول الشكل الخارجي كما جاء في القاموس المحيط (الصورة) بالضم تعني الشكل والجمع صور وتستعمل بمعنى النوع والصفة. (الفيروز أبادي: 73). وتؤدي الصورة مهمة الشرح والإيضاح وهما مرحلتان تسبقان عملية الإقناع، فمن أراد أن يقنع الآخر بمعنى ما عليه في البداية أن يشرحه له ويوضحه بطريقة تغريه بتصديقه وقبوله. (عصفور، 1992: 404) وتجدر الإشارة إلى أن الصورة في القرآن الكريم "ليست عملا فنيا مقصودا لذاته، إنها وسيلة لتبليغ الدعوة الإسلامية وتثبيتها وتعميقها عن طريق الإمتاع والإقناع. (قطب، 1980: 29)

وقد وردت كلمة الصورة في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، ورودها بصيغة المفرد في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ # الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ # فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) (الانفطار: 6، 7، 8،)

مفهوم التصوير

وأما التصوير فهو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني، فالتصوُّر إذا عقلي أما التصوير فهو شكلي إن التصوُّر هو العلاقة بين الصورة والتصوير، وأداته الفكر فقط، وأما التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة. (الحوماني، 1934: 1756).

ويعد التصوير الفني جانباً من جوانب الصياغة الجمالية المولدة للمعنى في العملية الإبداعية، إذ بواسطة التصوير يتم استنطاق المعاني الكامنة في الذهن وإخراجها إلى الواقع المادي في تعبير مميز، وإيحاء دلالي خاص يركن إلى جعل " الصورة المجازية تحل محل مجموعة من العبارات الحرفية...إنها لا تقود المتلقي إلى الغرض مباشرة مثلما تفعل العبارات الحرفية، وإنما تنحرف به...فتبرز له جانبا من المعنى، وتخفي عنه جانبا آخر، حتى تثير شوقه وفضوله، فيقبل المتلقي على تأمل الصورة...وعندئذ ينكشف له الجانب الخفي من المعنى. (عصفور، 1992: 326-327).

والتصوير أيضاً هو السمة المميزة في القرآن الكريم، وهو أحد الملامح التعبيرية الأساسية في الأسلوب القرآني، هذا الأسلوب الذي اتخذ تفرده من نفس العطاء اللغوي الذي عرفه العرب القدماء، فالألفاظ والتراكيب والصياغة النحوية هي ما تواتر في أصول اللغة... وهي التي عرفها العرب، معرفة فطرية دقيقة... ومع ذلك فأن القرآن الكريم تحدى حملة القول وأصحابه بالقول نفسه، فلقد تحداهم بالأداء التعبيري الفذ الذي قصُرت على إدراكه أقوى العقول وأصغى الألسنة فالأسلوب القرآني هو جوهر التحدي وهو رمز المعجزة ووسيلتها وشرفها وهو ذو خصوصية متفردة وهو نمط في الأسلوب الأدبي بلغ حد الإعجاز ومن ثم كان التأثير النافذ والمتغلغل في أعماق النفس. (عبد العال، 1990: 8)

والتصوير أيضاً هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية؛ وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور؛ وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي

بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة؛ فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل. فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة؛ وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول، الذي وقعت فيه أو ستقع؛ حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب؛ ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع. فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو؛ وهذه سمات الانفعال بشتى الأحاسيس المضمرة. إنها الحياة هنا، وليست حكاية الحياة. (قطب: 36)

مفهوم الخطاب لغة

جاء في لسان العرب أن الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب. (ابن منظور: 361).

مفهوم الخطاب اصطلاحاً

يستعمل لفظ الخطاب اصطلاحاً بمعان شتى تبعاً لطبيعة الموضوع الذي ينصب عليه الخطاب، وتبعاً للأغراض التي يسعى إلى تحقيقها. (السائح، 2005: 9، 10)

والخطاب: هو الوسيط اللساني في نقل مجموعة من الأحداث الواقعية والتخيلية التي أطلق عليها (جينيت) مصطلح الحكاية. (معتصم، وآخرون، 2003: 38، 39)

الفصل الأول: الخصائص التصويرية للعالم الحسي

العالم الحسي هو عالم الشهادة وهو العالم الحسي المادي الذي تدركه الأبصار والعقول البشرية، ويمكن للإنسان أن يصل إلى القوانين التي تحكمه كما في العلوم الطبيعية. وبالطبع لن يكون الموجد لهذا العالم من طبيعة هذا الوجود نفسه، بل متجاوز له إ رادة وقوة ومشيئة. وتنطلق الرؤية الإسلامية إلى العالم من رؤية خاصة للكون، مصدرها الوحي الرباني؛ إذ نجد العديد من آيات القرآن الكريم تصف الكون وخصائصه، وتصوره تصويراً دقيقاً، كدلالة على عظمة الخالق؛ لذلك أول حقيقة في الرؤية الإسلامية إلى العالم أن الكون من صنع الله، وأنه هو من أوجده من عدم، ومن غير مادة سابقة (مهورباشة، 1981: 198-199). (وخلق كل شيء فقدره تقديراً). (الفرقان: 2)

المبحث الأول: الجدل التصويري في آيات الكون والطبيعة

الأداء الذي سلكه الجدل في آيات الكون والطبيعة. هو مجال تعبيري برز فيه التصوير بروزاً واضحاً في تنوعاته الجمالية. فالقرآن الكريم حافل بآيات الله في الكون وبمشاهد الطبيعة على تنوعها. بما يلفت الذهن ويثير الحس. فيربي في النفس البشرية الترو ع إلى التأمل وإدراك مظاهر الجمال في الكون والجمال من أبرز القيم التي تتسرب إلى دواخل النفوس فتهزها هزّا. والطبيعة كانت جزءا في تشكيل الصورة القرآنية، وأن القرآن انطلق منها للوصول إلى النفوس، فصور السماوات والأرض والجبال والبحار والبساتين والظلال إلى غير ذلك من عناصر الوجود.

وسلك القرآن الكريم طريقة الجدل التصويري الذي نفرد له هذا المبحث. فالجدل من حيث التعريف هو (في الأصل فن الحوار والمناقشة.). (صليبا، 1971: 391). وطبيعي إن الذي يهمنا- في هذا المبحث- ليس موضوع الجدل، ولكن طريقة التعبير عنه. فالطريقة التي سلكها هي التي تجعله عنصر من عناصر هذا البحث، إذ الجانب الفني وحده في سورة النمل هو موضوعنا الوحيد في هذا البحث.

ومن آيات الكون والطبيعة خلق السموات والأرض قال تعالى: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) (النمل: 60). ثم ينتقل بهم إلى حقيقة كونية أخرى، يواجههم بها كما واجههم بحقيقة الخلق الأولى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (النمل: 61)

تبين هذه الآيات قدرة الله الحي القيوم المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره، خلق تلك السموات في ارتفاعها وصفاتها. وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة. كما ذكرهم الله تعالى أيضاً بخلق الأرض وما فيها من الجبال والسهول، والزروع والأشجار والحدائق، التي ليس في ملكهم أن ينبتوا شجرها، وهذا من أوضح الدلالات المحسوسة الدالة على انفراد الله بالخلق وحده لا شريك له. وصور الله تعالى لهم الأرض بأنها ثابتة قارّة غير مضطربة. وهذا تدبير عجيب ولا يُدرك تمام هذا الصنع العجيب إلاّ عند العلم بأن الأرض سابحة في الهواء متحركة في كل لحظة وهي مع ذلك تبدو إلى سكانها ثابتة غير متحركة. ومع جعلها ثابتة شقّ فيها الأنهار العذبة الطيبة فجعلها خلالها. وصرَّفها فيها. كما جعل بها جبالاً شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بهم (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) أي جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً؛ أي مانعاً يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا، فأن الحكمة الإلهية تقتضي بقضاء كل منهما على صفته المقصودة منه. والرواسي الثابتة تقابل الأنهار الجارية في المشهد الكوني الذي يعرضه القرآن هنا والتقابل التصويري ملحوظ في التعبير القرآني وهذا واحد منه. لذلك يذكر الرواسي بعد الأنهار.

والقرآن الكريم في تصويره للسموات والأرض وما فيهن في هذه الآيات يدعو الإنسان إلى أن تتفتح بصيرته على آيات الله في الكون، ويستشعر من ورائها يد القدرة القادرة الخلاقة المبدعة؛ في أسلوب يأخذ بمجامع النفس ويوقظها من إلفها وعادتها. والأداء التصويري في القرآن الكريم يتناول آيات الكون في حركة مليئة بالحياة – جمادها وكائنها- في تنوع مصاحب، من لون وصوت، وحركة وظلال. وتتأكد في هذا السياق التصويري قدرة الله التي خلقت هذه الكائنات كلها وبثت فيها نبض الحياة الهادر في أسلوب تعبير معجز. ويبدو ذلك جلياً في تصوير السموات والأرض في هذه سورة. (عبد العال: 112)

وقوله تعالى: (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (النمل: 64) في هذه الآية استدلال بتصرف الله تعالى بالحياة الأولى والثانية وبإعطاء المدد لدوام الحياة الأولى مدة مقدرة. وفيه تذكير بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد. وجُماع ما تقدم في هذه الآيات من قوله: (الله خير أمّا تشركون) أنها أجملت الاستدلال على أحقية الله تعالى بالإلهية وحده ثم فصلت ذلك بآيات (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) إلى قوله: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فابتدأت بدليل قريب من برهان المشاهدة وهو خلق السموات والأرض وما يأتي منها من خير للناس. ودليلُ كيفية خلق الكرة الأرضية وما على وجهها منها.

وهذا ملحق بالمشاهدات. وهذه طريقة القرآن في الجدل عن العقيدة. يستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس؛ فيجعل الكون كله إطارا للمنطق الذي يأخذ به القلوب؛ ويوقظ به الفطرة ويجلوها لتحكم منطقها الواضح الواصل البسيط؛ ويستجيش به المشاعر والوجدانيات (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النمل: 86) في هذه الآية ذكرهم الله تعالى بأظهر الآيات وأكثرها تكراراً على حواسّهم وأجدرها بأن تكون مقنعة في ارعوائهم عن شركهم. وهي آية ملازمة لهم طول حياتهم تخطر ببالهم مرتين كل يوم. تلك هي آية الليل والنهار الدالة على انفراده تعالى بالتصرف في هذا العالم؛ فأصنامهم تخضع لمفعولها فتُظلم ذواتهم في الليل وتنير في النهار، وفيها تذكير بتمثيل الموت والحياة بعده بسكون الليل وانبثاق النهار عقبه. إن في نظام الليل آيات

على الانفراد بخلق الشمس وخلقِ نورها الخارق للظلمات، وخلق الأرض ونظام دورانها اليومي تجاه أشعة الشمس وهي الدورة التي تكوّن الليل والنهار. وفي خلق طبع الإنسان بأن يتلقّى الظلمة بطلب السكون لما يعتري الأعصاب من الفتور دون بعض الدوابّ التي تنشط في الليل كالهوام والخفافيش وفي ذلك أيضاً دلالة على تعاقب الموت والحياة. وفي جعل النهار مبصراً آيات كثيرة على الوحدانية ودقة الصنع تقابل ما تقدم في جعل الليل سكنا. وفيه دلالة على الّا إحالة ولا استبعاد في البعث بعد الموت، وإنه نظير بعث اليقظة بعد النوم، وفي جليل تلك الآيات ودقيقها عدة آيات فهذا وجه جعل ذلك آيات ولم يجعله آيتين. وهذه الآية مسوقة مساق التعجب والتوبيخ فجعل ما فيها آيات لمن الإيمان من شأنهم ليفيد بمفهومه أنه لا تحصل منه دلالة لمن ليس من شأنهم الإنصاف والاعتراف. (ابن عاشور: 43، 44).

وقوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ). (النمل: 88). في هذه الآية خطاب موجه إلى النبي –صل الله عليه وسلم –لمعنى يدرك هو كنهه ولذلك خص الخطاب به ولم يعمم. وتأويل هذه الآية يقتضي، أن الرائي للجبال يراها في هيئة الساكنة، وهذا يناسب حال الجبال إذ لا تكون الجبال ذائبة. وقوله: (مَرَّ السَّحَابِ) مصدر مبين لنوع مرور الجبال، أي مرور تتنقل به من جهة إلى جهة مع أن الرائي يخالها ثابتة في مكانها. كما يخال ناظر السحاب الذي يعم الأفق أنه مستقر وهو ينتقل من صوب إلى صوب ويمطر من مكان إلى آخر فلا يشعر به الاّ وقد غاب عنه. وبهذا تعلم أن المرّ غير السير الذي في قوله تعالى: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا). (الكهف: 47) فان ذلك يكون في وقت اختلال نظام العالم الأرضي.

وقوله: بعد ذلك(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) هذا تمجيد لهذا النظام العجيب إذ تتحرك الأجسام العظيمة مسافات شاسعة والناس يحسبونها قارة ثابتة وهي تتحرك بهم ولا يشعرون. لأن إتقان الصنع أثر من آثار سعة العلم فالذي بعلمه أتقن كل شيء هو خبير بما يفعل الخلق فليحذروا أن يخالفوا أوامره.

والإتقان هو تمام الصنع وكماله. وإتقان صنع الله تبارك وتعالى لا يقتصر على الخلق المادي فحسب وإنما هو كائن في كل الكائنات بما فيها الروح وما شاكلها من عوالم الغيب التي أخبرنا القرآن الكريم عنها. فالإتقان مظهر جمالي، وأن لم يبد للعيان) (صالح، 2010: 22).

وهنا تنبه الآيات القرآنية على ضرورة استخدام الإنسان عقله وفكره، وكل ما أنعم الله عليه من حواس للتأمل والتبصر في صناعة الله في خلقه، وعلى الإنسان في كل عصر وزمان أن يستخدم أساليب البحث العلمي المختلفة. بما أُتيح له من علم ومعرفة في تفهم عناصر الكون بغية الوصول إلى الحقيقة والاستدلال على وجود الله الأحد. الواحد الصمد، الخالق للسموات والأرض وما بينهما وعلى عناية الله عز وجل بما خلق. والقرآن الكريم معجز وإعجازه العلمي ليس مرهوناً بوقت نزول القرآن، كما أنه ليس مخصوصاً لقوم ما في زمن معين، بل إن إعجازه قائم ومستمر إلى يوم الدين مهما تقدم العلم الوضعي وسيظل العلماء والمفكرون يكتشفون في كل زمان ومكان جوانب متعددة مضيئة من معجزات الآيات القرآنية.

المبحث الثاني: تصوير حال المؤمنين وحال الكافرين

يتضح للناظر في القصص القرآني من أول الأمر، أن الصراع بين الخير والشر يدور في مجال واحد هو مجال الإيمان والكفر...ففي هذا المجال تكاد تنحصر تحركات الأحداث في هذه القصص. والأحداث القليلة التي تخرج من هذا المجال العام، لا تلبث أن تنعطف عليه، وتندمج فيه. وتأخذ الاتجاه الذي يأخذه المجرى العام كله. فالدعوة إلى التعرف على الله، والإيمان به وحده وخلع المعبودات الزائفة المضللة من أشخاص، وأوثان وأنداد وغيرها – هذه

الدعوة هي مناط رسالات الرسل، وهي مركز الثقل فيها. وفي سبيل هذه الدعوة وقع ما وقع بين الأنبياء وأقوامهم من صراع عقلي، ومادي معاً إنها الخير في مواجهة الشر). (الخطيب، 1975: 200).

قال تعالى في سورة النمل: (طس تِلْكَ آيَاتُ القرآن وَكِتَابٍ مُبِينٍ). (النمل: 1)

في هذه الآيات بين المولى عز وجل أن هذا القرآن هو تنزيل رب العالمين. وأضاف الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم عظيم. والكتاب المبين هو اللوح المحفوظ وقد خُط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين، وأما السورة وإما القرآن، وإبانتهما أنهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف. (هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) كون هذه الآيات هي هدى وبشر لجميع الخلق ويكون الهدى بمعنى الدلالة والإرشاد والتبيين لا بمعنى تحصيل الهدى الذي هو مقابل الضلال. (وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ). (النمل: 2) خص الله تعالى المؤمنين بالذكر لانتفاعهم به. وقوله تعالى (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ). (النمل: 3) وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة. وما يوقن بالآخرة حق الإيقان الاّ هؤلاء الجامعون بين الإيمان، والعمل الصالح. لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق) (أبي حيان: 206-208).

وبين المولى عز وجل حال الذين لا يؤمنون قائلاً: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ). فالإيمان بالآخرة هو حقيقة نور الهدى وضياء الاهتداء الذي يكبح الشهوات والنزوات، ويضمن القصد والاعتدال في الحياة. والذي لا يعتقد بالآخِرةِ لا يملك أن يحرم نفسه شهوة أو يكبح فيها نزوة، وهو يظن أن الفرصة الوحيدة المتاحة له للمتاع هي فرصة الحياة على هذا الكوكب وهي قصيرة مهما طالت. وهو لا يحسب حساب وقفة بين يدي الله، ولا يتوقع ثواباً ولا عقاباً يوم يقوم الأشهاد. والله سبحانه هو الذي خلق النفس البشرية على هذا النحو وجعلها مستعدة للاهتداء إن تفتحت لدلائل الهدى، مستعدة للعماء أن طمست منافذ الإدراك فيها ومشيئته نافذة وفق سنته التي خلق النفس البشرية عليها في حالتي الاهتداء، والعماء. ومن ثم يقول الله تعالى عن الذين لا يؤمنون بالأخرة: (زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ) (النمل: 4) فهم لم يؤمنوا بالآخرة فنفذت سنة الله تعالى في أن تصبح أعمالهم وشهواتهم مزينة لهم حسنة عندهم. وهذا هو معنى التزيين في هذا المقام. فَهُمْ يَعْمَهُونَ لا يرون ما فيها من شر وسوء. أو فهم حائرون لا يهتدون فيها إلى صواب والعاقبة معروفة لمن يزين له الشر والسوء سواء كان سوء العذاب لهم في الدنيا، أو في الآخرة فالخسارة المطلقة في الآخرة محققة جزاء وفاقا على الاندفاع في سوء الأعمال. وَقَالَ الله تعالى على لسان الَّذِينَ كَفَرُوا ولا يؤمنون بالبعث والنشور: (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ). (النمل: 67).

فهذه كانت العقدة التي يقف أمامها الذين كفروا يقولون إذا فارقنا الحياة، ورمت أجسادنا وتناثرت في القبور وصارت ترابا ووقع هذا كله لنا ولآبائنا الذين ماتوا من قبلنا. هل يمكن أن نبعث أحياء كرة أخرى وأن نخرج من الأرض التي اختلط رفاتنا بترابها فصار ترابا.؟ وتقف هذه الصورة المادية بينهم وبين تصور الحياة الآخرة وينسون أنهم خُلقوا أول مرة ولم يكونوا من قبل شيئا. ولا يدري أحد أين كانت الخلايا والذرات التي تكونت منها هياكلهم الأولى فلقد كانت مفرقة في أطوار الأرض وأعماق البحار وأجواز الفضاء. فمنها ما جاء من تربة الأرض، ومنها ما جاء من عناصر الهواء والماء، ومنها ما قدم من الشمس البعيدة، ومنها ما تنفسه إنسان، أو نبات أو حيوان، ومنها ما انبعث من جسد رم وتبخرت بعض عناصره في الهواء. ثم تمثلت هذه الخلايا والذرات في طعام يأكلونه، وشراب يشربونه، وهواء يتنفسونه وشعاع يستدفئون به. ثم إذا هذا الشتيت الذي لا يعلم عدده الاّ الله ولا يحصي مصادره الاّ الله يتجمع في هيكل إنسان وهو ينمو من بويضة عالقة في رحم يصير جسدا مسجي في كفن. فهذا في خلقهم أول مرة. فهل عجب أن يكونوا كذلك في المرة الأخرى. وقال الله تعالى على لسانهم: (لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ). (النمل: 68) وهولا المشركون كانوا يعرفون أن الرسل من قبل قد أنذروا آباءهم بالبعث والنشور. مما

يدل على أن العرب لم تكن أذهانهم خالية من العقيدة ولا غفلاً من معانيها. إنما كانوا يرون الوعود لم تتحقق منذ بعيد فيبنون على هذا استهتارهم بالوعد الجديد قائلين إنها أساطير الأولين يرويها محمد Œ غافلين أن الساعة موعدها الذي لا يتقدم لاستعجال البشر ولا يتأخر لرجائهم أنما يجيء في الوقت المعلوم لله تعالى المجهول للعباد في السموات والأرض سواء. فخاطبهم قائلاً: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ).(النمل: 69).

فالسير في الأرض يطلع النفوس على مثل وسير وأحوال فيها عبرة وفيها تفتيح لنوافذ مضيئة. وفيها لمسات للقلوب قد توقظها وتحييها. والقرآن يوجه الناس إلى البحث عن السنن المطردة، وتدبير خطواتها وحلقاتها، ليعيشوا حياة متصلة الأوشاج متسعة الآفاق غير متحجرة ولا مغلقة ولا ضيقة ولا منقطعة. وهنا خاطب المولى عز وجل النبي الكريم Œ قائلاً: (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ). (النمل: 70). وبعد أن يوجههم الله تعالى هذا التوجيه يأمر الرسول Œ أن ينفض يديه من أمرهم، ويدعهم لمصيرهم الذي وجههم إلى نظائره. والاّ يضيق صدره بمكرهم، فإنهم لن يضروه شيء والّا يحزن عليهم فقد أدي واجبه تجاههم وأبلغهم وبصرهم. وهذا يصور حساسية قلب النبي Œ وحزنه على مصير قومه الذي يعلمه من مصائر المكذبين قبلهم. ويدل كذلك على شدة مكرهم به وبالدعوة وبالمسلمين حتى ليضيق صدره الرحب الكبير. (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). (النمل: 71) كان هؤلاء المنكرين للبعث يقولون هذا كلما خوفوا بمصائر المجرمين قبلهم ومصارعهم التي يمرون عليها مصبحين كقرى لوط، وآثار ثمود في الحجر وآثار عاد في الأحقاف ومسكن سبأ بعد سيل العرم. كانوا يقولون مستهزئين متى هذا العذاب الذي تخوفوننا به إن كنتم صادقين فهاتوه أو خبرونا بموعده على التحديد. رداً على قولهم هذا خاطبهم الله تعالى قائلاً: (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ). (النمل: 72) وهنا يجيء الرد يلقي ظلال الهول المتربص وظلال التهكم المنذر فقد يكون وراءهم رديفا لهم. وهم لا يشعرون وهم في غفلتهم يستعجلون به وهو خلف رديف فيالها من مفاجأة ترتعش لها الأوصال. وهم يستهزئون ويستهترون. (العبدلي، 2016: 42)

الفصل الثاني: معيار القيم في إبراز العواطف والانفعالات في القصص

المبحث الاول: العالم الحسي

لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية. وإبرازها في صور حسيّة والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية، والحوادث الماضية، والقصص

المروية. والأمثال القصصية، ومشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب، والنماذج الإنسانية، كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخيل الحسي الذي يفعمها بالحركة المتخيلة. ونجد أن تكرار القصص القرآني الذي يقال عنه ليس تكراراً للحدث ولا إعادة للواقعة بصورتها التي عرضت بها أولاً. بل إن أكثر القصص القرآني تتكرر فيه الشخصية ولا تتكرر فيه الحادثة. فالصور المتكررة يكمل بعضها بعضا، وأنها في مجموعها تعطي صورة واضحة كاملة مجسمة أو شبه مجسمة للحدث. وأنه في كل مرة تُعرض فيها القصة تكشف عن جانب من جوانبها، أو تجسم صورة من صورها، أو تكمل حدثا من أحداثها. حيث جاءت الموازنة التي جُمع فيها بين ثلاث صور لقصة موسى عليه السلام وهو في الطور يناجي ربه عز وجل. ومجموع ما في الصور الثلاث التي جاءت في سورة طه والنمل والقصص يعطي صورة وأحدة مكتملة لما حدث وكل وأحدة منها يمكن أن تستقل بنفسها في الكشف عن مضمون هذا الحديث. (قطب: 241).

ووردت آيات العالم الحسي في قول الله تعالى مخاطباً النبي Œ: اذكر أيها الرسول لقومك حين قال موسى: لأهله وقد سار بهم فضل الطريق في ليل دامس وظلام حالك. وكان هذا حين مسيره من مدين إلى مصر ولم يكن معه

سوى امرأته وكانا يسيران ليلاً فاشتبه عليهما الطريق، والبرد شديد، وفي مثل هذه الحال يستبشر الناس بمشاهدة النار من بعد لما يرجى فيها من زوال الحيرة، وأمن الطريق ومن الانتفاع بها للاصطلاء ومن ثم قال لها هذه المقولة: (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ). (النمل: 7) فلما رأى موسى عليه السلام النار تأجج وتضطرب، قال لأهله سآتيكم منها بخبر عن الطريق أو آتيكم بشعلة من النار تستدفئون بها. وكان كما قال فإنه رجع منها بخبر عظيم واقتبس نوراً جليلاً. (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). (النمل: 8) فلما وصل موسى عليه السلام إلى النار نودي بأن بورك من في مكان النار ومن حول مكانها. ومن (حولها) من في ذلك الوادي وحوله من أرض الشام الموسومة بالبركات، ومهبط الخيرات، لكونها مبعث الأنبياء. وقوله: (سبحان الله) تنزيه لنفسه عما لا يليق به في ذاته وحكمته. وإيذان بأن مدبر ذلك الأمر هو رب العالمين. ولما تشوقت النفس إلى تحقيق ما يراد بالتصريح قال الله تعالى- تمهيدا لما أراد اظهاره على يد موسى عليه السلام من المعجزات الباهرة: (يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). (النمل: 9) أي يا موسى أن الذي يخاطبك ويناجيك هو ربك الذي عز كل شيء وقهره وهو الحكيم في أفعاله وأقواله. (عودة، وعبد الرحيم: 352-353)

ومن المعجزات الحسية أيضا قوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: (وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ). (النمل: 10) فلما ألقى موسى- عليه السلام - العصا انقلبت حية سريعة الحركة، وعندما رآها كذلك وَلَّى مُدْبِرًا أي ولى هاربا خوفا منها ولم يلتفت وراءه من شدة فرقه وهذه الآية تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى ليعلم ذلك علم شهود. وحينئذ تاقت النفس إلى معرفة ما قيل. فقال تعالى وتبارك: (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ). (النمل: 10) أي لا تخف مما ترى، فإني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم واصطفيهم بالنبوة. (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ). (النمل: 11) ولكن من ظلم من سائر العباد، فإنه يخاف، الاّ أذا تاب فبدل بتوبته حسنا بعد سوء، فإني أغفر له وامحو ذنوبه وجميع آثارها، كما فعل السحرة الذين آمنوا بموسى. وفي هذا بشارة عظيمة لسائر البشر. فان من عمل ذنبا ثم اقلع عنه وتاب وأناب، فأن الله يتوب عليه. ثم أراه جلت قدرته آية أخرى (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ). (النمل: 12) أمر الله تعالى موسى عليه السلام قائلاً: ادخل يدك في جيب قميصك تخرج بيضاء بياضاً عظيماً، ولها شعاع كشعاع الشمس بلا آفة بها من برص أو غيره. تلك آيتان الأولى كانت بتغيير ما في يده وقلبها من جماد إلى حيوان. والثانية بتغيير يده نفسها وقلب أوصافها إلى أوصاف أخرى نورانية. وفي ذلك تأييد لموسى عليه السلام. وقوله تعالى: (مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) وهذه الآيات هي اليد، والعصا، والطمس على الأموال. كما جاء في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: (رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ). (يونس: 88)

والآية الرابعة الأخذ بالسنين العجاف والقحط قال تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ). (الأعراف: 130). كما جاءت الآيات الباقية في قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ). (الأعراف: 133)

وهذه تسع آيات بينات أيد الله تعالى بها موسى عليه السلام. وأرسله إلى قوم فاسقين خارجين عن حدود الله سبحانه وتعالى. وقال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ). (النمل: 13) حكموا هؤلاء على الحقائق بأنها سحر، وعلى المعجزات بأنها تخيلات وأوهام في العقل وشتان بين المعجزة والسحر فالمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على أيدي الأنبياء تصديقا لهم في دعواهم، مع عجز جميع الخلق عن الإتيان بمثل هذه الآيات. إن أهل الباطل يحاولون قلب الحقائق والحكم على الأشياء بغير واقع الأمر ولابد من الجزاء العادل، ووقوع العاقبة قال تعالى:

(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا). (النمل: 14) مع أنك لو اطلعت على ما في قلوبهم علمت أنهم في قرار أنفسهم يوقنون بصدق الآيات، ولكنهم يكذبونها ظلما وعلوا واستكبارا حتى لا يظهروا أمام قومهم بأنهم خدعوا للحق. (كشك: 3499- 3501). وقد بين الله تعالى العاقبة الوخيمة لهم في قوله تعالى:

(وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ). (الأعراف: 137).

وارى الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام آية اخرى قائلاً: (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ) أي عندما مر سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على وآدي النمل وقيل أن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره. قَالَت: (نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ). (النمل: 18) حذرت النملة النمل وخافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم. ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا). (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ على وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ). (النمل: 19) أي ربي ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها على من تعليمي منطق الطير والحيوان. وعلى والديّ بالإسلام لك والإيمان بك. وأن أعمل عملاً تحبه وترضاه وإذا توفيتني فالحقني بالصالحين من عبادك والرفيق الأعلى من أوليائك.

ومن الآيات الأخر عندما نزل سليمان عليه السلام يوماً بفلاة من الأرض وكان سليمان عليه السلام أذا غدا إلى مجلسه الذي يجلس فيه يتفقد الطير. فنظر فرأى من اصناف الطيور كلها من حضره الاّ الهدهد (فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ. (النمل: 20). اخطأه بصري من الطير، أم غاب فلم يحضر. وقيل إن الهدهد كان مهندساً يدل سليمان عليه السلام على الماء إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض. (ابن كثير، 2010: 664 ، 666-).

وتوعد نبي الله سليمان عليه السلام الهدهد قائلاً: (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ). (النمل: 21) توعده بالعذاب اغلاظاً على العاصين وعقاباً على إخلاله بنبوته ورتبته. (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ). (النمل: 22) أي أقام الهدهد زمنا غير بعيد ثم حضر فعاتبه سليمان عليه السلام على غيابه وتخلفه ثم قال له الهدهد: علمت بما لم تعلم وجئتك من سبإ بخبر صادق (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ). (النمل: 23) أنها امرأة ملكة على مدائن اليمن وذات ملك عظيم وكانت كافرة من قوم كفار (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) أي أوتيت مما تحتاجه الملكة من كل أمر الدنيا. وهذه المرأة هي بلقيس ووصف عرشها بالعظيم في الهيئة ورتبة الملك. قال الهدهد: متحدثاً عن بلقيس وقومها

(وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ). (النمل: 24) أي سخر لهم الشيطان الاّ يسجدون لله الذي يخرج الخبء أي الخفي من الأمور المستور عن الأنظار قائلاً: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ). (النمل: 25). كالمطر الذي في السحاب، وكالنبات والمعادن التي في باطن الأرض. وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ أيها الخلق في صدوركم. (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) أي الذي لا يستحق العبادة غيره. (الثعالبي: 159، 160)

المبحث الثاني: الخصائص المعنوية لدلائل النبوة في المعجزات

ومن الخصائص المعنوية لدلائل النبوة ما ورثه سليمان عليه السلام عن أبيه داود عليهما السلام دون سائر إخوته، ورث عنه الملك، والعلم، والحكمة الإدارية، والسياسية. ومن علوم النبوة ما كان لداود منها ولم يوح لسليمان نظيره وجاء ذلك في قوله تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) ثم خطب سليمان عليه السلام في الناس قائلاً: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ). (النمل: 16) وقد دل هذا البيان على أن للطيور منطقاً تُعبرُ به عما في أنفسها من أحاسيس

ومشاعر ورغبات في حدود إدراكاتها للمعاني. وقد أعطى الله عز وجل سليمان علم منطق الطير، فكان عليه السلام يفهم من تقاطيع أصواتها ما تعبر به عمّا في نفوسها، وكان يخاطبها بمثل أصواتها فتفهم عنه حديثه لها. ودل قول الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ). (النمل: 16) ي آتانا الله تعالى من فضله من كل شيء تؤتاه ملوك الأرض من مال وسلطان وجند وسائر قوى تثبيت الملك من كل شيء طلبناه ورغبنا فيه لأنفسنا وللكنا وسلطاننا من أشياء الحياة الدنيا ومتاعها. ويُدخل أبوه داود عليهما السلام في هذه المنة الربّانية لأن الله تعالى قال بشأنه ((وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ) (ص: 20).

فأعلن سليمان عليه السلام بهذا البيان فضل الله تعالى عليه وعلى أبيه. وأشعر ضمناً بأن من الواجب عليه اتجاه ربه سبحانه وتعالى أن يشكر هذا الفضل المبين. ومن شكره لربه أن يقيم العدل، ويجاهد في سبيل الله حقّ جهاده، ويكثر من عبادته له بما يرضيه. ولهذا قال تعالى على لسانه في الآية التالية: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ على وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ). (النمل: 19)

وقد آتى الله تعالى سليمان عليه السلام قدرة على تسخير من يشاء. (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ). (النمل: 17). جعل الله تعالى إلى سليمان جنود من الجن، وتجنيد جيش منهم، بطاقات خاصة وهبه الله إياها خارجة عن حدود طاقات البشر المعروفة لسائر الناس، فاتخذ منهم جنوداً مقاتلين وبنائين، وغواصين وصانعي أدوات معدنية، ونحّاتين. ولعل تقديمهم في الآية على الأنس للدلالة على أن عددهم أكثر من أعداد الأنس. أو للدلالة على أن قدراتهم القتالية كانت أعظم من قدرات الأنس. وقد آتى الله تعالى سليمان عليه السلام قدرة خاصة على تسخير الطيور ومحادثتها بحسب منطق كل نوع منها. ولجنوده من الطير وظائف متعددة منها تظليل الجيش من حر الشمس، ومنها الصيد، وقد يكون منها القتال. (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أي فهم يجمعون في مكان جامع، ويرتبون صفوفاً، ويسوّون للقيام منتظمين بما يكلّفونه من أعمال.) (حبنكة، 2002: 56-62)

وبعد ارسال نبي الله سليمان الهدهد بالكتاب إلى ملكة سبأ. قامت الملكة بأرسال هدية إلى سليمان اختبارا له هل هو ملك أم نبي. فرجع المرسل إليها بالهدية، وأخبرها بما أقسم عليه سليمان، فتجهزت للمسير اليه، إذ علمت أنه نبي ولا طاقة لها بقتال نبي. أمرت عند خروجها إلى سليمان جعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في جوف بعض في آخر قصر من قصورها، وغلقت الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه، وتوجهت إلى سليمان في اقيالها وأتباعها. ولما كانت على بعد كيلومترات من سليمان، قال: (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا). كان سليمان مهيباً، لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه. ليريها القدرة التي هي من عند الله وأراد أن يريها بعض ما خصه به الله تعالى من إجراء العجائب على يده، مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها. (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا). (النمل: 38) في هذه الآية دليل على جواز الاستعانة ببعض الأتباع في مقاصد الملوك، ودليل على أنه قد يخص بعض أتباع الأنبياء بشيء لا يكون لغيرهم، ودليل على مبادرة من طلبه منه الملوك قضاء حاجة، وبدئه الشياطين في التسخير على الأنس وقدرتهم بأقدار الله على ما يبعد فعله من الأنس. (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ). (النمل: 39) أي آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك وإني على الإتيان به لقوي على حمله. وكان سليمان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم. ثم قال: (الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ). والذي عنده علم الكتاب اختلف فيه قيل: وهو رجل من الأنس، واسمه آصف بن برخاء كاتب سليمان وكان صديقاً عالماً. فدعا آصف فغاب العرش في مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدرة الله تعالى قبل أن يرد طرف سليمان عليه السلام. أي يريد آتيك به سريعاً وارتداد الطرف مجاز تمثيل، والمراد استقصار مدة الإتيان به. (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا) فلما رأى سليمان عرش بلقيس ثابتاً غير متقلقل. (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي) يريد الإتيان بعرشها وتحصيل ما أردت من ذلك، هو من فضل ربي على وإحسانه. ثم علل

ذلك بقوله (لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) وتلقى سليمان عليه السلام النعمة وفضل الله تعالى بالشكر. ثم قال: (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ). (النمل: 40)، بين سليمان عليه السلام أن الشكر عائد ثوابه لمن شكر الله سبحانه وتعالى، إذا كان قد صان نفسه عن كفران النعمة وفعل ما هو واجب عليه من شكر نعمة الله عليه. ومن كفر فضل الله ونعمته عليه، فإن ربي غني عن شكره لا يعود منفعتها إلى الله تعالى. لأنه هو الغني المطلق الكريم بالإنعام على من كفر نعمته. (ابي حيان: 238 – 241)

ولما جيء لسليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل قدومها أمر أن يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس بعرشها فقال تعالى على لسان سليمان: (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ). (النمل: 41) (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ) أي عرض عليها عرشها وقد غير ونكر وزيد فيه ونقص منه. فكان فيها ثبات وعقل، ولها لب ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته وأن غير وبدل ونكّر فقالت: (كَأَنَّهُ هُوَ) أي يشبهه ويقاربه وهذا غاية في الذكاء والحزم. وقوله تعالى على لسان سليمان: (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) (النمل: 42) وهي كانت قد صدها أي منعها من عبادة الله تعالى وحده (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ). (النمل: 43) وأظهرت إسلامها بعد دخولها إلى الصرح (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا). (النمل: 44) وذلك لأن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرا عظيما من قوارير، أي من زجاج وأجرى تحته الماء فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه. ثم قال لها ادخلي الصرح. ليريها ملكاً هو أعزُّ من ملكها وسلطانها، فلما رأته بلقيس حسبته لجة وكشفت عن ساقها لا تشك أنه ماء تخوضه. فقيل لها. (إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِير) فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتبها في عبادة الشمس من دون الله تعالى. فأسلمت وحسن إسلامها) (ابن كثير: 675و67 7).

الخاتمة

عرضت الدراسة على مدار السطور السابقة الصورة الفنية في الخطاب الدعوي في سورة النمل مثبتة اياه؛ كما أوردت عدد من الآيات القرآنية من سورة النمل أمثلة عليه. وبعد مشوار البحث، والتقصي بين فصوله ومباحثه توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- إن الصورة الفنية هي الناقل الأمين لأحاسيس وعواطف الأنبياء. بحيث تتخذ هذه الأحاسيس والعواطف شكلاً فنياً بإمكانه أن يؤثر فينا.
- تتعدّد مستويات إيحاء الصورة الفنية ضمن هذا الخطاب القصصي القرآني في سورة النمل لتنوّع الأغراض والمقاصد التبليغية، وحسب مقتضى المقام والمناسبة، ووفق أحوال المخاطبين وأفقهم الذهني، فقد يجيء الإيحاء روحياً أو نفسياً أو إقناعيا أو حجاجيا أو فنيا، أو إشاريا ليُلقي بظلاله على المعنى.
- إن للتصوير الحسي جانب بارز في التعبير القرآني، ولا سيما في سورة النمل. حيث يرمي إلى رسم الصورة كما تحس بها النفس، وهو وسيلة لتقريب المعاني.
- هناك انسجام وتجانس قائمان بين المستوى الموضوعي للصورة القرآنية ومستوى الأداء، فمن عجيب ما اطّرد في الخطاب القصصي القرآني في سورة النمل، أن السمات البلاغية والأسلوبية للفظ القرآن الكريم تراعي إلى أبعد الحدود طبيعة الموضوع المصوّر.
- إن المتأمل في القصص القرآني يرى أنه لم يسر على طريقة واحدة، وإنما تعددت أنماط التعبير وطرائق عرض القصة، بل إن القصة الواحدة قد تأتي في سياق مكتملة مفصلة، وفي سياق آخر يقتصر منها على إحدى لقطاتها

أو مشاهدها نموذجا على ذلك قصة موسى -عليه السلام- حيث جاءت الموازنة التي جُمع فيها بين ثلاث صور لقصة موسى عليه السلام وهو في الطور يناجي ربه.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن عاشور، محمد. (1884) التحرير والتنوير، ج20، دار النشر تونس.
- ابن كثير. (2010)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق ياسين، حكمت، بشير، ط1، ج5.
- ابن منظور، (د. ت)، لسان العرب، ج2، دار لسان العرب، بيروت.
- ابي حيان، محمد. (2010) البحر المحيط، مراجعة: جميل: دقي. طبعة جديدة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الثعالبي، (د. ت) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- الحوماني، (1934). مجلة الرسالة، المجلد الثاني، السنة الثانية، العدد 64، تاريخ 9/24
- الخطيب، عبد الكريم. (1975)، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- دحماني، نور الدين، (2011، 2012) بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية.
- السائح، أحمد عبد الرحيم، (2005) الخطاب الديني والواقع المعاصر، سلسلة قضايا إسلامية، العدد 128، القاهرة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- السعدون، نهان، حسون، (2013)، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد السابع، العدد 2/14.
- صالح، حكمت. (2010)، جماليات تصوير الحركة في القرآن الكريم، ط 1، دولة الكويت
- صليبا، جميل (1971)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، ط1، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- عبد العال، محمد. (1990)، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، رابطة العالم الاسلامي، العدد 99، مكة المكرمة.
- العبدلي، ابن مقصد. (2016)، اللُباب شرح كلمات أقدس كتاب، ط 1، ج 4، دار الكتاب والسنه.
- عصفور، جابر، (1992)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربي
- عودة، عوده. وعبد الرحيم، ابراهيم. (لا يوجد عام)، دراسة تحليلية نقدية لكتاب القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، للأستاذ عبد الكريم الخطيب، فلسطين.
- الفيروز أبادي، مجد الدين بن محمد بن محمد يعقوب، (د. ت) القاموس المحيط، ج7، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- قطب، سيد. (د. ت) التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة.
- كشك، عبد الحميد. (لا يوجد عام) في رحاب التفسير، ط 1، ج19، الناشر المكتب المصري الحديث.
- معتصم، محمد وآخرون، (2003) جيران جينيت، خطاب الحكاية، ط3، منشورات الاختلاف.

- مهورباشة، عبد الحليم. (1981)، علم الاجتماع في العالم العربي من النقد إلى التأسيس نحو علم العمران الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، مكتبة الاردن، عمان، مركز معرفة الانسان للدراسات والابحاث والنشر والتوزيع.
- الميداني، عبد الرحمن حبنكة، (2002)، معارج التفكير ودقائق التدبر، ط1، المجلد التاسع، دار القلم، دمشق.